حوليات الجامعة التونسية

العدد التاسع والأربعون

2005

تونس

حوليات الجامعة التونسية

مجلة للبحث العلمي

تصدرها كلية الآداب بجامعة منوبة

الهيئة المؤسسة :

أحمد عبد السلام ـ الشاذلي بويحيى ـ منجي الشّملي ـ عبد القادر المهيري ـ فرحات الدشراوي ـ الحبيب الشاوش.

المديرون السّابقون :

أحمد عبد السلام ـ الشاذلي بويحيى ـ منجي الشّملي

المدير المسؤول : محمّد الهادي الطرابلسي

رئيس التحرير : محمد قوبعة

هيئة التحرير :

منجي الشملي ـ عبد القادر المهيري ـ محمد الهادي الطرابلسي ـ محمد صلاح الدين الشريف ـ محمد قوبعة ـ المنصف بن عبد الجليل ـ مبروك المناعي.

ثمن العدد الواحد : تونس عشرة (10) دنانير

سائر البلدان : عشرون (20) دولارا أمريكيا

توجّه الفصول الى : مدير حوليات الجامعة التونسية

وترسل الطلبيات والاشتراكات ومطالب المبادلات الى :

مصلحة النشر والتبادل

كلية الآداب ـ 2010 ـ منوبة

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء. ويتحمل كل كاتب مسؤولية ما ينشره فيها

الفصول المخطوطة لا ترجع إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر

جميع الحقوق محفوظة

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

ر . د . م . ك 0099 ـ 0330

الفهرس

الصفحة

محمود المسعدي 11
محمود طرشونة

محمود المسعدي في كلّية الآداب 21
محمد الهادي الطرابلسي

أحمد عبد الوهاب بكير 29
عبد القادر المهيري

استرسال الصوت، استرسال الدلالة : مقولة الجمع نموذجا 33
الأزهر الزنّاد

الأدب عند التوحيدي بين أسر الكاتب وتحرّر الناثر 75
صالح بن رمضان

وظائف الشواهد في رواية حدّث أبو هريرة قال 87
فوزي الزمرلي

إشكالية الجنة في رواية "المجوس 111
عبد الصمد زايد

ظاهرة التكرير في العربيّة : رؤية عرفانيّة 137
توفيق قريرة

شعريّـة الرسالة الإخوانيّة من خلال رسالة الهناء لأبي العلاء المعرّي .. 183
أحمد السماوي

"الرّمزيّة الصّوتيّة" الحدّ والتجاوز" 209
توفيق العلوي

عقيـــدة رؤيـــة الله في كلام أبي الحسن الأشعري 245
محسن التليلي

نظرية المعنى عند العرب بين المنوال التداولي والمنوال السيميائي 265
عبد المجيد العطواني

محنة الهجاء والهجّائين في الأدب الأندلسي 297
بسّام البرقاوي

تقديم الكتب :

الدين والدولة والمجتمع في مواقف وآثار محمد بيرم الخامس 323
تأليف : **علي الصولي**
تقديم : **كمال عمران**

حوليات الجامعة التونسية - عدد 2005/49 ص ص 135 - 179

ظاهرة التكرير في العربية

" رؤية عرفانية "

بقلم : **توفيق قريرة**

قد يكون من الضروري في مستهلّ هذا العمل أن نذكّر بفكرة بديهية قد تنسى على بداهتها وهي أنّ الظاهرة اللّغويّة الواحدة قد تتغيّر معالمها النظريّة جزئيّا أو حتّى كلّيّا إذا ما غيّر منهج البحث فيها وتبدّلت زاوية النّظر إليها. ولن نعدم في الظواهر النحويّة العربيّة أمثلة كثيرة من النظريّات التي يمكن أن نراها من زوايا نظر أخرى قصد إعادة استقرائها وإعادة النّظر في كثير ممّا يعتقد أنّه فيها من المسلّمات.

تركيزنا في هذا العمل سيكون على ظاهرة عرفت في كتب النحو القديمة باسم التكرير وهو وجه من وجوه إعادة اللّفظ الواحد أوالمركّب مرّتين أو أكثر. واعتمادا على هذه الظاهرة - التي لم تحظ بكثير من العناية نبيّن ونحن نعتمد وجهة نظر لسانيّة حديثة كاللسانيّات العرفانيّة كيف يمكن. أنْ نراجع دونما اسقاط نتائج بات مسلّما بها في المسألة ونفتح بذلك هذا المبحث على مسائل هي إلى هذا الوقت معزولة عنها.

وسوف نعرض بشيء من الإيجاز المقصود إلى رأي النحويين العرب في التكرير عامدين إلى إعادة ترتيب ما ورد أشتاتا في كتبهم وفق

معطيات بنيويّة ودلالية قد تكون مخالفة لما تعوّد النحويّون أن يطرحوه قصد توظيفها في المقاربة العرفانيّة cognitive للمسألة نفسها.

1 - التكرير في كتب النحاة العرب

مصطلح التكرير استعمله سيبويه في وسم العبارات المكرّرة في الجمل تكرارا هو من قبيل الاستنساخ اللفظي كالذي نجده مثلا في :

(1) جاء زيد زيد

أو الذي يوجد في بنى أخرى غير هذه التي سيستقرّ عليها الاصطلاح في كتب اللاحقين باسم التوكيد اللّفظي. ونحن نعرض في ما يلي كلّ الظّواهر التركيبيّة في العربيّة التي تشترك في سمة إعادة لفظ أو مركّب إعادة تامّة أو ناقصة.

توزّعت أصناف التكرير في كتب النّحاة على أبواب كثيرة منها ما وسم إعرابيّا ومنها ما وسم بنائيّا ومنها ما وسم دلاليّا وفي ذلك دليل على أنّ النحويّين لم يعتنوا بهذه الظاهرة باعتبارها مادّة تنظير واحدة بل نظروا إليها باعتبارها نماذج منخرطة في مادّة نظريّة عليا. وهذا اختيار لا نروم نقاشه وإنّما نناقش - في الإبّان - ما ترتّب عنه من نتائج كان لها أثر ما في تحليل الظّاهرة أو في تعليلها أو تبويبها وحتى في تقعيدها.

1 - 1- باب التوابع

كان أهم أنواع التكريرالتي لاقت من النحاة اهتماما هو المعروف بالتوكيد اللفظي كما في قولك :

(2) - ضربتُ زيدًا زيدًا

وسوف نرمز له بـ (أ ⇔ أ) دلالة على أن عنصرا من الجملة (أ) قد حدثت إعادته بلفظه وبمعناه المعجمي مرتين بقطع النظر عن موقع تلك الإعادة وعن عددها.

وقد أدرج النحاة هذا الضرب من التكرير في باب التوكيد وهو أحد أنواع التّوابع وهو صنف موسومٌ إعرابيّا من خصائصه التماثل الإعرابيّ بين مكوّن أصلي في محله الإعرابيّ هو المتبوع ومكوّن فرعي فيه عالق به هو التابع. والحق أنّ التوكيد اللفظيّ يبدو غير متناسق من حيث التبويب مع بقية العناصر إذ ليس التناسُخُ الإعرابيّ بين التابع والمتبوع شرطا أساسيا بل ينبغي أن يكون التشاكل من جهة تكرير المثيل لفظا ومعنى سواءٌ أكان المكرّر مطابقا في إعرابه لسابقه أو كان التطابقُ من هذه الجهة مبطلا أو محيّدا neutralisé كما في إعادة الفعل في :

(3) - ضربتُ ضربتُ زيدًا [1]

إنّ صياغة النحاة القدامى للمبدأ المخصص للتوكيد اللفظي في بابه من الإتباع كان مما يفتقر إليه رغم إمكانه. فسمة الإتباع في التوكيد المعنوي والنعت والبدل والعطف إدخال الجملة في ضرب من الرتابة الإعرابية بإعادة المحل وعلامته الإعرابية وفي رتابة دلالية نسبية وذلك بأن يكون التابع في علاقة تسوير بالمتبوع (البدل، العطف) أو في علاقة وسمٍ به (النعت) أو في علاقة تطابق (توكيد معنوي) من غير أن تحدث تلك الرتابة في مستوى تماثل الألفاظ. لكن ما يميز التوكيد اللفظي هو حدوث الرتابة في مستوًى محليّ إعرابي ودلالي وكذلك في مستوى تماثل الألفاظ أيضا : أي في مستوى البنية العميقة وتعجيمها. يضاف إلى ذلك أن التوسعة غير مقصورة على المواضع الاسمية في الجملة بل على كل المواضع سواء أ كانت اسمية أم فعلية أو حتّى حرفية. فالقدرة الإستنساخية وهي قابلية العنصر المعجميّ في السلسلة التركيبية أن يكرّر

(1) لم يخف بعض النّحاة حرجهم من هذا التبويب وحاولوا كما فعل ابن يعيش (شرح المفصّل : 3/39) ربط الإتباع بالمعنى أصلا. ولكن هذا التخريج لا يحل الإشكال لأنّ الإتباع المعنويّ يبدو شأن كثير من العناصر الإسنادية كالمبتدأ والخبر والنعت والمنعوت.

- قدرة شبه[2] تامة في التوكيد اللفظي[3] بحيث أنّ كل عنصر (ء) يمكن أن يكون له بواسطة الإستنساخ في السلسلة نفسها مناظر مطابق (ء') أو أكثر (ءن) كالتالي :

ج = ء + ب + جـ

← ء = ء ' + ء" +... ءن

1 - 2 - باب المركّبات

ذكر النحاة ضربا آخر من التكرير في باب "المركّبات" وهي أزواج من الألفاظ تركّبت تركيبا مزجيّا فصارت كاللفظ الواحد ولذلك بُنيت ومنه :

(4) - لقيته يَوْمَ يَوْمَ

وسوف نرمز لهذا بـ (أ $^{\theta}$ ≈ أ) حيث يدل الرمز ($^{\theta}$≈) على أنّ أصل العلاقة بين المتماثلين (أ ⇔ أ) المبنيين هي العطف في بعض الآراء فكأنّ الأصل لقيته (يومًا ويومًا) أو (يومًا فيومًا) وبني اللفظان المكرران لتضمن المركب معنى حرف العطف (ش. م 114/4).

ومن هذا الضرب من التكرير كذلك إعادة للفظين متماثلين صيغة مختلفين تعجيما كما في (4) :

---

(2) على - أنّ القدرة الاستنساخية وإن كانت تطرد في أغلب الأحيان في مكونات السلسلة الكلامية فإنها تمنع، حسب النحويّين، لأسباب شكلية كشدّة الإتصال والامتزاج والتّعلّق بين عنصرين تركيبيّين ويبرز ذلك في امتناع تكرير الضمير المتصل أو حرف الجرّ أو غيرهما مما اصطلح عليه الاستراباذي بـ "المكرّر غير المستقل" إلا في ضرورة الشعر (شرح الكافية 363/2 – 364).

(3) يتّهم كثير من العرفانيّن شمسكي بالقول بمركزيّة التركيب ويذهب بعضهم مثل يقول شمسكي ككلّ العرفانيين إنّ الإبداعيّة مسألة عرفانيّة ويراها في اللّغة تتحقّق في التركيب. وقد يرى غيره من مثل "جاكندوف" أنّ الابداعيّة.

(5) - لقيته صحَرةْ بحَرةْ

ونرمز لهذا المركب ب (أ $\overset{\theta}{\approx}$ ب) بحكم أنّ اللفظين متفقان في أغلب الحروف وفي الصفة غير أنهما لا يتماثلان تماثلا تامّا في اللفظ ولا يتفقان في المعنى.

1- 3 - باب العطف

عند حديث النحاة عن توكيد المنكور - وقد منعوه في المعنوي وأجازوه في اللفظي - (3) ربطوا الصلة بين التكرير المفيد للتوكيد والتكرير غير المفيد له ففي قولنا :

(6) - أ - ضرب ضرب زيدٌ

ب - دكت الأرض دكّا دكّا (الفجر 21)

استفيد من (6 أ) توكيد الفعل بلفظه وأستفيد من (6 ب) توكيده بلفظ الحدث الذي هو منه وكرّر ذلك الحدث تكريرا لفظيّا فكان التوكيد بذلك لفظيا.

إلا أنه في تناولنا التّالي :

(7) - أ - قرأت الكتاب سورةً سورةً

ب - وجاء ربك والملك صفّا صفّا (الفجر 22)

فان إعادة (سورة) في (7أ) أو إعادة (صفّا) في (7 ب) لا يفهم منه توكيد اللفظ بل تكرير المعنى، ويعني ذلك أن الثاني من المكررين غيرِ الأول في المرجع (انظر: شرح الكافية : ش.ك : 2/372-373). وتكرير المعنى يقتضي أن نؤوّل التركيب (صفّا صفّا) أو (سورةً سورةً) بإضمار حرف عطف يدل على أن المكرر غير الأول في المرجع الخارجي فكان الأصل :

- قرأت الكتاب سورةً فسورةً أو (سورةً ثم سورةً) بمعنى التعاقب في القراءة والاستقصاء فيها. وسوف نرمز لهذه البنية بـ (أ $\overset{\theta}{\sim}$ أ)

للدلالة على أن معنى العطف ليس مضمرا إضمارا بعيدا كالذي في باب المركبات (أ $^{\theta}\approx$ أ) بل هو أقرب منه تقديرا وأمكن استعمالا.

إن من شأن هذه الأمثلة أن تبين التعاون بين بنية التكرير (أ ⇔ أ) غير العطفية وبنيته العطفية (أ ~ أ) و (أ $^{\theta}\approx$ أ). وقد انتبه النحويون إلى هذا التعامل في بعض الملاحظات نقتصر على إيراد إثنتين :

- الأولى ملاحظة بعضهم من أنه يمكن ردّ :

(8) - أ - أكلت رغيفًا رغيفًا
ب - قرأت كتابًا كتابًا

إلى بنية (أ ⇔ أ) أي بنية التكرير اللفظي (ش م : 44/3)

- أما الملاحظة الثانية فتتعلق بتجويز أغلبهم إمكان الربط بين مكررين من (أ ⇔ أ) بأداة عطف صريحة واستشهدوا على ذلك بالبيت التالي :

(9) - ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي
ثلاث تحيات وإن لم تكلمي.

(ش م 39/3)

وقال الاستراباذي : "قد يكون مع التأكيد اللفظي عاطف" (ش ك 368/2)

وذلك يعني أن البنية (أ ⇔ أ) صارت بنية من نوع (أ & أ) وفي ذلك مغالطة. فبنية العطف تختلف عن بنية التوكيد اللفظي في أنها ذات بنية تعلق نسقي hypotactic بمعنى أن تعليق عبارة بأخرى أو مركب بآخر يحدث بأداة ناسقة سواء أذكرت أم لم تذكر (كانت مقدرة) ولكن بنية التكرير بنية لانسقية paratactic بمعنى أن تعلق المكررين يكون من غير أداة (Halliday & Hasan : 1994, 222) والبنية العطفية قد تقترب من البنية التكريرية في حال غياب الأداة كما في :

(1 0) - جاء زيد، صالح، عمرو.

ويزداد قرب ما بين البنيتين في حال كون المتعاطفين لفظين مثلين :

(1 1) - جاءت، هند، هند، هند.

وأنت تقصد ثلاث هندات.

لكن بنية التوكيد اللفظي (أ ⇔ أ) لا يمكن أن تقرب من بنية العطف بمجرد ذكر الأداة كما في تأويل النحويين لـ (8). لأن الأداة العاطفة يمكن أن تقدر لكنها لا يمكن أن تغيب أي أن يصبح العطف لفظيا لا قيمة للأداة العاطفة فيه.

3 - التكرير بمعيار النحو العرفانيّ :

0 - 3 - تمهيد

يعتبر العرفانيون على النقيض من التّوليديّين (والبنيّويّين عمومًا) أن اللغة نظام غير مستقلّ non-autonomous system عن الملكات الذهنية والإدراكية أو بينهما علاقة جدلية حميمة (Fodor 95,18)، وليس الأمر كما سطّره البنيّون حين اعتبروا اللغة نظاما مستقلاّ بذاته autonomous system هويّة أيّ عنصر لغوي لا تتحدّد الاّ داخل ذلك النّظام.

فهناك في التصور العرفاني لغتان، لغة داخلية هي لغة الذهن langua mentis وأخرى خارجية external language هي التي بها ينجز الكلام ووجه الترابط بينهما يحدث "بأن يدور في الذهن ما يدور من أفكار ثم ترمّز في لغات طبيعية محلية وترسَلُ (بصوت مرتفع) إلى المتلقي" (Putnam : 93; 830). وإذا كان من الممكن كما في تصور شمسكي الحديث عن نحوٍ كوني Universal grammar تخضع إليه جميع اللغات الطبيعية وفق مقاييس التغيّر Parameters أو جملة من المبادئ مبادئ Principals ؛ فإن ذلك غير مفيد بالنسبة إلى العرفانيين، فعندهم أن اللغة الذهنية وخصوصيتها أن تكون مفردة (إذ لكل ذهن لغته الخاصة به : Nuyts & Pederson 1997,23) هي التي تتحكم في اللغة الطبيعية أو

الخارجية، بل قل إن بين اللغتين تراسلا فما يحدث على صعيد اللغة الداخلية التي تتحكم في التمثيلات الذهنية conceptual representations له صداه على صعيد اللغة الخارجية التي تنتج التمثيلات الدلالية semantic representations. وما دام الأمر على هذا الشكل من التراسل فإن الإبداعية creativity ليس محورها التركيب syntax كما يعتقد شمسكي بل محورها الإدراك (Lee : 2000,200) [4] وبلغة بعض العرفانيين فإن الفضاء الرمزي symbolic space وهو الفضاء الجامع بين الفضاء الدلالي semantic space والفضاء الفونولوجي phonological space هو تحقق للمدركات الذهنية بواسطة رموز صوتية وليس ذلك إلاّ وجها من وجوه التحقق الكثيرة التي تتمظهر بها تلك المدركات (Langaker,1987,76).

ومن هذا المنطلق جمع بعض العرفانيين بين النحوي والتصويري imagery فقيل إن البنية النحوية ترتكز على التواضع التصويري conventional imagery وهو تواضع يعكس قدرتنا على بناء وضعية مدركة بأشكال مختلفة (langacker opcit 138) وهذا التصور بعيد ولا شك عن قول التوليديين بأنّ بنية العبارات يحدّدها نظام شكلي من القواعد (أنظر David Lee, 2000, 1).

إن المفيد في النحو العرفاني هو كيفية بناء الرموز symboles الكاشفة عن البنية الذهنية الإدراكية وهذا البناء تتعاون عليه جميع مكونات اللغة على حد سواء فلا فائدة في فصل المكوّن التّركيبي عن الدلالي أو الصوتي عنه وإنما كل تلك المكونات في تعاملٍ غايته "جعل عمليات الرّمزنة symbolisation التي تمكن من الإنتقال من وحدات صوتية

(4) يتّهم كثير من العرفانيين "شمسكي" باعتماده على فكرة "المركزية التركيبية" ويذهب بعضهم مثل "لي" Lee إلى أنّه ربط الإبداعية بالتركيب. إلاّ أنّ هذا القول يحتاج تبيينا، إذ يرى "شمسكي" ككل العرفانيين - أن الإبداعية مسألة عرفانية ويراها تتحقق لغويّا في التركيب. وقد يرى غيره مثل "جاكندوف Jackendoff أنّ الابداعيّة في اللّغة تتحقّق بشكل من التوليف المتوازي بين البنى اللغوية الثلاث الصوغية، التركيبية، الدلالية / المتصوّريّة.

مدخلة إلى وحدات دلالية مخرجة، جعلها صريحة" (Michel Charolles, 1999 2/106,108). وبناءً على هذا المعطى من النحو العرفاني التجريبي خاصة، قال لنقكار "ن النحو يوفر أشكالا نموذجية [تستخدم] في التركيب المتتالي بين هياكل رمزية تمكن من تكوين عبارات رمزية مهيأة للتمثل شيئا فشيئا" (297 ,1991) وبناء على هذا التصور للنحو مثرى بتصوّرات أخرى، ندرس مسألة التكرير بما هي بنية رمزية ذات تمثيلات ذهنية متعددة، ويهمنا أن نطرحها من ثلاث وجهات نظر عرفانية :

- بنى التكرير المختلفة ومفهوما الأساس والجانب
- التكرير بما هو بنى طرازية ومحيطة
- دراسة الأثر السمعي من خلال بعض بنى التكرير.

3 - 1- الأساس base والجانب profile في بنى التكرير اللفظي :

لتوضيح هذا الزوج الأساسي من المفاهيم عند "لنقكار" يضرب هذا النحوي مثل الشكلين الهندسيين الدائرة والقوس. يعد القوس تمظهرا هندسيا مقتطعا من الدائرة وبذلك فهو من الممكن أن يدرك على أنّه مجموعة من النّقاط تتوزّع على شكل معلوم في مجال هندسي محدّد هو مجال الدّائرة ؛ فالدّائرة هي الأساس base أي المجال scope أو الميدان الأكبر الذي يتحدد في فضائه شكل القوس. وهذا الشكل لم يكن له أن يتحدّد من غير تبئير على جهة ما من الدّائرة هي المصطلح عليها بالجانب profile. والتبئير على جانب يصطلح عليه لنقكار بالتجنيب profiling فمن غير تبئير جانبي فإن الشكل يقودنا إلى دائرة ومن غير أساس لا نصل إلى القوس بل إلى خطٍ منحنٍ أو غير صادق الاستقامة (Langacker : 87, 18). وفيما يخصّ ميدان اللّغة فإنّ المفهومين يستعملان في العبارات من جهة كونها محمولات دلاليّة predications على حدّ عبارته (أي الوجه المعنوي للعبارة) وعنده فإن لكل محمول دلالي مجالا

يقع في نطاقه اختيار حيّز (أو ناحية region خصوصا في التعيين الاسمي) فرعي لتعيين شيء ما، فالمجال هو الأساس والمعين فيه هو الجانب. والجانب هو بناء على المثال السابق تركيز الإنتباه في إطار محمول دلالي Predication ويميز لنقكار في حديثه عن المحمول الدلالي بين المحمول الدلالي الاسمي nominal Predication الذي يعيّن شيئا بالتبئير الجانبي عادة على شيء ما ويضرب مثلا الاسم (أحمر) بما هو محمول دلالي يعيّن جهة في فضاء اللّون. وأمّا المحمول الدلالي العلائقي Predication relational (ص 214) فإن البؤرة فيه تقع على الروابط وتركز على الأحداث العرفانية التي يكمن فيها إدراك تلك الروابط (ص 216). فإذا بنينا على المثال السابق وقلنا (اللون الأحمر لون من الألوان) فإنّ التبئير لم يعد كما الحال في المحمول الاسمي على جهة واحدة في فضاء معيّن بل على عنصرين أو أكثر متمايزين يتمّ التبئير عليهما معا وعلى ترابطهما وهما في هذا المثال اللون الأحمر من جهة وبقيّة الألوان من جهة ثانية. والعلاقة بينهما هي علاقة جزء بكلّ. وعند الحديث عن هذا المحمول الدلالي العلائقي يستعين لنقكار بزوج من المصطلح هو المعلم Land Mark (LM) والمسار Trajector (t r). إذا كان مفهوم المسار يقتضي مفهوم الحركة ويدل في المحمولات الدلالية الفعليّة على حدث فيزياني يتمثل في التحرّك في فضاء ما، فإنّه يستعمل أيضا حتى في العلاقات الثابتة لأنّه يدلّ في المحمول العلائقي على الطرف الخصوصي أو الجزئي الدي حدث عليه التبئير وهو الذي يصطلح عليه بالوجه figure وفي المثال أعلاه يمثّل "الأحمر" المسار في العلاقة بما أنّه وجه من وجوه لونيّة كثيرة. أمّا العلم فهو يعني المرجع الذي يتحدّد بالنسبة إليه المسار وفي المثال نفسه تمثّل مجموعة الألوان المعلم الذي يتحدّد بالنسبة إليها اللون الأحمر. (Langacker : 1987; 214-18). وحين نقول في العربيّة :

(12) - (أ) - هند تشبه البدر

- (ب) - الخنساء فوق الرّجال

- (ج) - أنت دون أملي

فإنّ في الأمثلة الثلاثة علاقة تبئير جانبي بين طرفين الأوّل (وسنرمز إليه ب (أ)) هو المبتدأ في الجمل الثلاث والثاني (نرمز له ب (ب)) هو الخبر.

(أ) في كل الأمثلة أعلاه يحيل على المسار فهو في (12 أ) وجه من جانب الشبه وهو في (12 ب) وجه من جانب العلوّ وهو في (12 ج) وجه من جهة الدونيّة. وأما (ب) فإنه المعلم بمعنى أنه في كل الأمثلة يُقيّم بالنسبة إليه (أ) أو يتحدد.

وبالإعتماد على هذه المعطيات نميّز لاحقا بين أنواع التكرير ونبيّن كيف أنّ كلّ بنية تحدد وفق نوع علاقة التبئير الجانبي - إن وجدت - وأن العلاقة بين المكررين في التركيب تختلف بإختلاف تلك العلاقة.

* **البنية (أ $^{\theta}$ ~ أ$^{-}$) :**

لنأخذ في إطار هذه البنية المثال التالي :

(13) - قراتُ الكتاب صَفْحَةً صَفْحَةً.

توجد في (13) علاقة جانبية Profiled relation بين الكتاب من جهة و(صَفْحَةً صَفْحَةً) من جهة ثانية. فالكتاب يمثل الأساس base وأما المكرر فيمثل الجانب، إذ هما الجانب الذي (أو الجهة region) تحدث فيه بؤرة الانتباه في ميدان (الكتاب) الدلالي. والكتاب في المركب اعلاه هو المكون المتصوري conceptual component الأكبر للصفحة التي تمثل مكونا متصوريّا جزئيّا أو فرعيا منه subcomponent (ص 87) وأفاد التعالق التركيبي بين الأساس والجانب تفكيك المكون المتصوري الأكبر إلى جزئياته تفكيكا زمانيا على محور الحدث (القراءة). وفي المثال نفسه فإن (الكتابَ) يمثل معلمًا LM إذ يتحدد بالنسبة إليه المركب المكرّر (صَفْحَةً صَفْحَةً) فهما المسار tr كما يجسده الشكل (1) التالي :

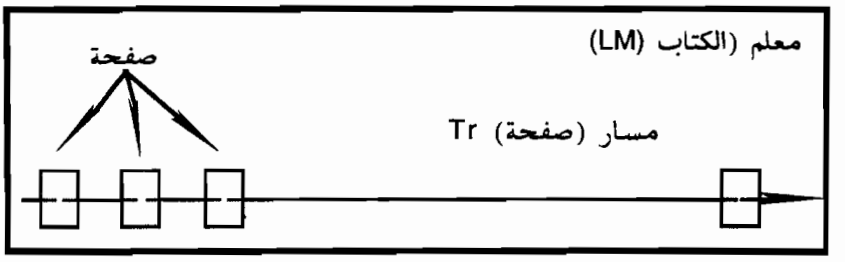

شكل (1)

إن العلاقة بين الأساس / الجانب تتمثل في أن عدد المكون الفرعي هو حاصل المكون المتصوري الكلي، فهي علاقة تجد أساسها على صعيد عددي. إذ إن المكون المتصوري الكلي يتألف من عدد متجانس من المكونات الصغرى. فالمجانسة اللفظية تحكي مجانسة مكونية للأفراد التي يتكون منها الكتاب. والتبئير الجانبي كان يهدف إلى النظر من جهة معينة إلى مكون أصغر من مكوّنات الكتاب دون الباقي (الأسطر، الفصول، الأبواب...). على أنه ينبغي أن نقول إن في هذه العلاقة عدم تناظر بين عدد المكون المرجعي الذي يتركب منه الكتاب وعدد الألفاظ المعينة له. العدد الأول غير معروف و العدد الثاني محدود في عبارتين. فإذا كان المقروء من الصفحات يمثل من الناحية التصوريّة حاصل عدد الصفحات نفسها :

ع = عدد صفحات الكتاب بالفعل = عدد الصفحات المقروءة = ن

فإن وصف الجملة قد إختزل العدد (ن) في مكونين مكررين هما عبارة عن عينة من العدد الحقيقي (ن)، وهكذا فإن (صَفْحَةً صَفْحَةً) من جهة العدد اللفظي لا تتطابق مع ما يفيده التعدّد المرجعيّ : هو اقتصادٌ في مستوى التمثيل الرّمزيّ (اللغوي) لا يتطابق مع اقتصاد آخر في مستوى التمثيل الذهني كما في الشكل (2) التالي :

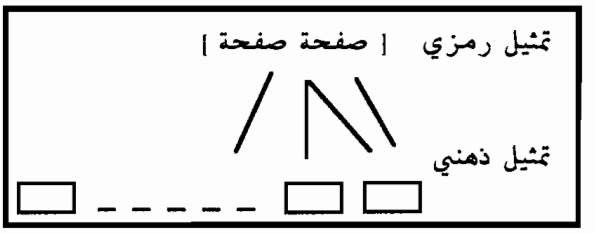

وإذا كان التبئير الجانبي هو تركيز الانتباه في محور دلالي على جانب فيه معيّن (لنقكار. ص 187) فإن المثال (13) يمكن أن يدرس في سياق مقارنة مع إمكانات تبئير أخرى كما في (14) :

(14) - أ : قرأتُ الكتابَ صفحةً صفحةً
- ب : قرأتُ الكتابَ سطرًا سطرًا
- ج : قرأت الكتابَ فَصْلاً فَصْلاً
- د : قرأت الكتابَ بَابًا بَابًا

وهذه الإمكانات وغيرها تصب جميعا وفق العلاقة الجانبية بين المعلم (كتاب) والمسار (الصفحة - السطر - الفصل - الباب) في مقتضى دلالي : (قراءة الكتاب قراءة تامة أو شاملة). إلاّ أنّ تفصيل الشمول مختلف بإختلاف العلاقة الجانبية بين الوجه figure أو الأساس base والجانب. ويمكن القول في هذا السياق إنّ تأكيد هذا المعنى يقوى كلما كان الجانب اكثر جزئية وأكثر دقّة من غيره، ولذلك فإنّ (ب) أقوى بهذا الإعتبار من (أ) و(أ) أقوى من (د) و(د) اقوى من (ج) لأنّ درجة التبئير أقوى من غيرها.

وفي نفس البنية (أ $^{\theta}$ ~ أ) يمكن ان نجد ضروبا أخرى لا علاقة فيها للمكون الأكبر - وهو الأساس بالمكون الفرعي وهو الجانب - بل إنّ التكرير يتعلق تعلقا آخر بمكوّن خارجي كما في (15) :

(15) - جاءَ ربُّكَ والملكُ صفًّا صفًّا.

إنّ الأساس هنا هو الحدث - المجيء - والمحدّد الجانبي هو المكوّن المكرّر (صفًّا صفًّا) والعلاقة بينهما تتحدّد في الفضاء الحدثي الزماني

فهي علاقة زمانية temporel relation. وفي هذه العلاقة الجانبية يكون المجيء هو المعلم land mark وكيفية تحققه ويُنصّ عليه في المركّب المكرّر هو المسار trajector ولكن المركّب نفسه يتكون من نقطة مرجعية ونقطة تتحدّد بالنسبة إليها : الأولى هي (صفّا) الأولى المحيلة على صفّ الإله والثانية هي عبارة (صفّا) الثانية المحيلة على صفّ (الملك)، فالأولى منهما هي المعلم LM والثانية المسار (Tr). واعتبارنا (صفا) الأولى معلمًا ثانيا (أو فرعيًا) نابعٌ منْ أنّه النقطة "المرجعية" التي يتحدّد بالنسبة إليها صفّ الملائكة، فهو البؤرة focus التي يتركز عليها الانتباه إلى حدث المجيء وهي المعلم الذي يوجّه حدث المجيء في الفضاء المكاني (الفضاء الزماني، فيه يقع الحدثان بالتوافق ولا وجود لبؤرة أو نقيضها).

فالفرق بين (14) و (15) في وظيفة المسار (ممثلا في المركب التكريري) الدلالية، ففي (14) دلّ المسار على معنى الجزئية داخل وضعية تعالق الكل بأجزائه.

وفي (15) دل المسار على معنى الجزئية ولكن في سياق تناظريّ بين هيأتين من تحقق الحدث الواحد (صورة مجيء الملك، صورة مجيء الإله)، فالمسار في هذه الحالة أكد فكرة التوازي بين مشهدين، ومن ثمّ تكون العلاقة بين المكررين قائمة على التوازي asymmetrical relation ship. والمسار في الحالة الأولى أكد في الصورة معنى التكامل في الحجم بين المعلم Lm والمسار Tr.

* - البنية (أ $^{\theta}$ ≈ أ) .

نمثل على هذه البنية بالأمثلة (16) :

(16) - أ : هُوَ جَارِي بَيْتَ بَيْتَ
- ب : قُلْتُمْ : كَيْتَ كَيْتَ
- ج : لَقَيتُه يَوْمَ يَوْمَ

في الأمثلة السابقة جميعا علاقات تبئير جانبي بين المكوّن المكرّر والمكوّن المتصوّري الذي جاء لتفصيله.أي بين الجوار وكيفيّته (16 أ) وبين القول ومضمونه (16ب) وبين اللّقاء وتواتره (16 ج) كلّ جملة تعيّن علاقة مبؤرة جانبيّا profiled بواسطة مركّب التكرير.

المكوّن المكرّر في الأمثلة السابقة هو الوجه الذي يجسّم المسار في هذه العلاقة التي يكون فيها الجوار والقول واللّقاء المعلم، هذه العناصر تمثل الأساس base تتحدّد بالنسبة إليه العناصر المكرّرة.

إلا أنّ هناك عناصر كبرى يختلف بها المركب التكريري في هذه البنية عن غيره :

- البناءُ : ويطرح علينا تساؤلا نصوغه كالتالي : هل أن له علاقة بالتصور : أي هل من فرق بين : (16 أ) و (17) -

(17) - هو جاري بيتًا بيتًا.

- إحَالةُ المركّبِ المكرّر على بناءٍ ذهني للمقام.

- لتناول المسألة الأولى نعود إلى رأي النحاة وخصوصا إلى ما انتهوا إليه من أن البناء يفيد في مثل هذا التركيب المكرر (وغير المكرّر) أن الجزء من المركّب هو كالجزء من الكلمة من جهة عدم إمكان استقلاله عن جزئه. ولهذا التلازم الإفتقاري (بمعنى افتقار الجزء من المركّب إلى جزئه) المختلف عن التلازم غير الافتقاري (الذي في (17)) صلة بالتلازم التصوري بين المكرّرين بما هما بنية دلالية (لا بنائية). فالجوار بما هو أساس دلالي مستفاد من التركيب - وبما هو مَعْلَمٌ في ذلك المركّب يتحدد بالنسبة إليه الجانب أو المسار في المركّب المكرّر - يكتسب درجة من التلاصق والاقتراب بالمركّب مبنيا أكثر من المركّب معربا، لأن هذا المركّب (أ $^{\theta}$ ~ أ) يضمر فيه معنى العطف فيُقلّ في هذا المركب معنى الالتصاق ويحضر أكثر في (أ $^{\theta}$ ≈ أ) التي ينتمي إليها (16 أ).

ومن جهة أخرى فإن التعبير عن المعنى نفسه بطريق الإعراب قد يقود إلى صور ذهنية مختلفة باختلاف بناء الوضعية الموصوفة كما في الأمثلة التالية :

(18) - أ ، هو جَارِي بَيْتًا بَيْتًا
- ب ، هو جَارِي بَيْتًا لِبَيْتٍ
- ج ، هو جَارِي ، بَيْتٌ فَبَيْتٌ

من ذلك أنّ العلاقة الجانبية بين الأساسي والجانبي وإن كانت ثابتة في هذه الأمثلة الثلاثة فإنها مختلفة في بعض الجزئيات بفعل الإعراب. ف (18 أ) التي نعدّها من بنية (أ ϑ~ أ) يستفاد منها مفهوم التجاور باستحضار حرف العطف المقدر الذي يفيد معنى التعاقب المكاني هنا بحيث يكون البيت الأوّل معاقبا للثاني.

و (18 ب) التي يختلف إعراب مكرريها (نصبًا فجرًا) يستفاد منه معنى التجاور بتقدير مشتق (مجاور ..) دالّ على معنى الجوار معجميا ؛ وعندئذ نكون بإزاء تركيبين أحدهما يفيد الصورة السابقة ولكن بشكل مفصّل، وفي ذلك تأثير على العلاقة الجانبية فالمكرّر بما هو جانب يجد أساسه في المشتق المقدر أو المحذوف وليس في المذكور.

وأما (ج) فإنه ينتمي إلى بنية (أ ϑ أ) التي يذكر فيها حرف العطف فيفيد صراحة ما أفاده (أ) ضمنًا، لكن هذه الامكانات التي يلمس منها تغيير في بناء نفس الوضعية لا نظير لها في المركب المبني ؛ فالبناء يعطل إمكانات تركيب مختلفة لوضعية واحدة ويجعلنا نرى الوضعية من منظار وحيد ولهذا فإن حركة البناء (بيتَ بيتَ) في آخر المركب يمكن أن نراها علامة على إبطال تعدد امكاني لبناء الوضعية الواحدة بأشكال مختلفة.

- واما المسألة الثانية والمتصلة بالبناء الذهني للمقام فنراها خصيصة في هذا البناء التكريري ذلك أن (16 أ) مثلا يحيل على معنى الجوار

استنادا إلى تمثل ذهني لطريقة معينة من طرق تحققه . وهذه الطريقة تفترض بناء تصوّريا يستحضر شكلا من تشكل تحقق المقام المقصود. فالمتكلم ليس له معرفة سابقة، (أو من المفروض أن يكون كذلك) بالجوار وكيف تحقق مقاميا ولكنه مدعو إلى بناء نمط تصوري ذهني يكون فيه بيت المتكلم نقطة مرجعية ومعلما Lm وبيت مجاوره مسارا .tr وهذا ما يمكن أن يمثله الشكل (3) التالي :

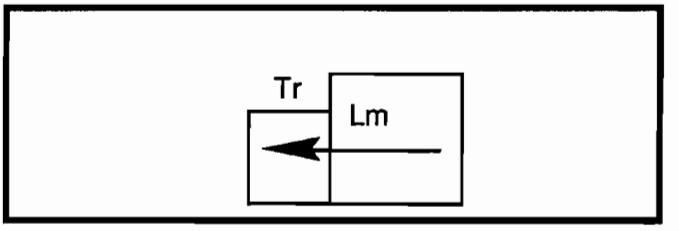

[بيتَ بيتَ]

ويقتضي هذا التصور أن يكون (بيتَ) الأول في المركب المكرر بمثابة بؤرة الإهتمام التي يبنى عليها كل الموقع التصوري، ويكون (بيت) الثاني بعدا من أبعاده. على أن المقصود بالمقام المبني ليس ما يعبر عنه قيفون Givon باسم المقام وجها لوجه (175) face-to face situational context كالذي يستفاد من عبارات دالة على حضور. عياني / سماعي : في المقام (كالآن - هنا - أنا) بل هو مقام يمكن تسميته بالمفترض بناء على أنّه ليس للسامع أثر ذهني جاهز عنه بل إنه يستحضره بناء على ذاكرة العمل working memory وتقوم ببناء ذهني غير قائم على معرفة عهدية به. وبهذا فإنّ (بيتَ بيتَ) ليسا لفظين إحاليّيْن في ذاتهما (كالآن / هنا ...) بل إحاليّتهما نابعة من دورهما في تخيل في هذا المركب.

وما يقال في (16 أ) يقال مثله في (16 ج : يومَ يومَ) وإن كانت الإحالية فيه أوضح والعبارات فيه أقرب إلى ما يعرف بالمشيرات المقامية deictics الدالة على الزمان. لكن (16 ب : كيتَ كيتَ) وهو ضرب خاص من هذه المكررات المبنية يعرف بالكنايات يدخل في باب

"المقام وجها لوجه" ويتطلب بناؤه معرفة عهدية بالمقام واستحضارا لما قيل فيه، فالمقام من تلك الناحية ليس مهما إلا بما هو إطار للمقال. وبناء على هذا الإختلاف فإن المكرّرين يعاملان معاملة واحدة وليس بينهما من فرق كالذي ذكرناه في (16 أ و ج).

على أن ما يشترك في بنية (أ $\overset{\theta}{\approx}$ أ) من جهة بناء المقام سواء (كان وجها لوجه أم مفترضا هو الاعتماد على التصور المتواضع عليه conventional imagery لكن دائرته قد تضيق أو تتسع لتشمل كل مستمع قادر على بناء المقام اعتمادا على مدخل تصوري متواضع عليه.

ففي (16 أ) فإن دائرة المتلقي متسعة بناء على أن تصور المتواضع عليه هو ملك لكل من له قدرة على بناء تمثيلي لكيفيّة الجوار المتحدث عنه : بيتٌ يجاور بيتًا. فالبيت بما هو مدخل إلى هذا المشهد التصوري للمقام يبدو معرّى عن أيّة خصوصية يقتضيها تمثل مقام مخصوص فلفظ البيت إنّما هو رمز لجنس متصوّري لا غير.

لكن في (16ج) تضيق دائرة المتلقي القادر على بناء المقام بحكم جنوح العبارة المدخل إلى المشهد (يومَ) إلى تخصص واقتضاء المعرفة العادية بالمقام ؛ وفي (16ب) تبدو الدائرة أقل ضيقا لأن الكناية (كيْتَ كيْتَ) ليس فك شفرتها التصورية إلاّ لمن كان عارفا بالمقام ولا وجود لتقريب في بنائه كما في (16أ أو 16ج).

* البنية (أ ⇔ أ)

تختلف البنية (أ ⇔ أ) في الظّاهر (وفي ما سلّم به النّحاة العرب) عن بقية البنى التكريرية (أ $\overset{\theta}{\sim}$ أ)، (أ $\overset{\theta}{\approx}$ أ) في أنّه لا وجود فيها لعلاقة تبئير جانبي profiling بين مكونيها ففي قولنا :

(19) - قرأتُ الكتابَ الكتابَ

فإنه لا يمكن وفق الظّاهر والمسلّم به أن ندعي أنه توجد بين الاسمين علاقة تبئير يكون بمقتضاها أحد المكونين بؤرة والثاني محددا

بالنسبة إليه. فظاهر العلاقة بين المكررين قائم على التماهي المطلق فليس بينهما اختلاف اعتباري perspective أو علاقة اندراج أو غيرها من العلاقات. لكن هذا القول ينظر إلى المركّب أعلاه من وجهة مكوّناته المعجمية أي بعبارة لنقكار من جهة البنية المكونيّة component structure أمّا النظر من جهة البنية المركبية composite structure فقد يفضي إلى أمر آخر.

بالاعتماد على البنية الدلاليّة نؤكّد أنّه لا يستفاد من البنية المكونية المكررة (أ ⇔ آ) أيّ تكرير دلالي أو اجترار للمعنى حتّى وإن كان يراد منه التوكيد. فبما أنّ المكرر لفظ لا يدل على مكرر ضرورة فإنّ العلاقة بين الاسمين المكرّرين (كتاب كتاب) يمكن أن تكون علاقة جانبية بحيث يلعب فيها اللفظ الأول دور الأساس - إذا ما كان دالاّ على النوع أو الجنس والثاني دور الجانب - إذا ما كان دالا على كتاب مخصوص يفهمه المتلقي عند التكرير.

وفي هذه الحالة كما في غيرها فإن أحد اللفظين من المركب يدل على المعلم والثاني على المسار بحسب ما يقتضيه التبئير الدلالي - التصوري على أحدهما. وما دمنا نتحدث في هذا الباب على التكرير بما هو فضاء دلالي لا فونولوجي فإنه من الممكن أن يكون مدخلنا إليه لفظا مغايرا معبرا على المعنى الأول كما في :

(20) - قرأت الكتابَ السِّفْرَ

حيث السفر تكرير دلالي للكتاب. أو كما في عبارة (بُرّ) في المثال التالي :

(21) - اشتريت قمْحًا بُرًّا

التي يمكن أن تكون بديلا من إعادة لفظ قمح أو برّ بعينهما.

لقد تكون كل مركب من زوج من العبارات المترادفة.

- الكتاب // السفر
- قمحا // برّا

وهذا الترادف وإن حافظ على معنى المنصوب في الجملتين فإنه لم يكن تكريرا لدلالة سابقة فالإضراب عن لفظ يعيّن حقيقة وإبداله من لفظ آخر يعينها لا يدلّ على محافظة على نفس التصور بل إن في تغيير اللفظ مثيرا ينبه إلى تغيير ولو طفيف في التصوّر. ففي (35) مثلا يمكن أن يوازي الانتقالَ من لفظ (الكتاب) إلى لفظ (السّفر) انتقالٌ داخل الميدان التعييني نفسه من جهة إلى أخرى : من جهة دالة على حجم عادي للكتاب إلى أخرى دالة على حجم أكبر له. فالانتقال كان باعتبار الحجم [5].

وفي (21) فإن الإنتقال من القمح إلى البرّ يوازيه انتقال يراعي تنوع اللغات العربية (القمح لغة أهل مصر والبرّ لغة أهل العراق : السيرافي : شرح كتاب سيبويه : 73/2) أو تنوع درجة الفصاحة [6].

إن تغير اللفظ قد وازاه تغير في وجهة النظر إلى عين الشيء وهذا ما يصطلح عليه العرفانيون بالاعتبار prespective والمهم في كل ذلك أن اللفظ قد دخل في علاقة جانبية صريحة مع مرادفه فكان اللفظ الأول في الجملتين (20) (21) الأساس ومرادفه الجانب وهو تبئير باعتبار الحجم أو بمراعاة اللغة ونوعها.

ونود أن نلاحظ من خلال هذا الضرب من التكرير الدلالي أن إرادة المحافظة على المعنى من خلال تنويع لفظ إنما هو من وجهة النظر العرفانية انتقال اعتباري داخل الميدان من جهة إلى أخرى لا يقل قيمة عن الانتقال من دائرة تصورية إلى أخرى وبهذا الانتقال يحدث ضرب من التعالق بين اللفظين المترادفين بحيث يرسم أحدهما صورة ذهنية ويكملها اللفظ الثاني وما يحدث بتنويع اللفظ يحدث بتكرار اللفظ ولكن بتنويع صوتي أو صوتمي آخر يدل على أن ما بين المثيلين انتقالا اعتباريا ما داخل نفس الميدان التصوري.

---

(5) لسان العرب ل ع 4/370 : السفر بالكسر الكتاب وقيل هو الكتاب الكبير.

(6) لسان العرب : 55/4 البرّ أفصح من قولهم القمح 55/4.

3 - 2 - التكرير والطرازية prototypicality :

3 - 2 - 1 الطراز العام والطراز المحلي :

الطراز في رأي العرفانيين "عينة نموذجية" لصنف ما تماثله بقية العناصر من خلال ما يدرك فيها من تشابه يصلها به. ويستخدم مبدا الطرازية في المباحث التركيبية لاستخراج الأمثلة الجيدة عن المتصورات المستفادة بالتركيب. ويرى Fodor في هذا السياق أن الطرازية ينبغي أن تكون ثنائية القطب طرازية شكلية وأخرى دلالية (Fodor : 1998, 200).

وقد طرح فودور مسألة الطرازية التركيبية في إطار واسع هو العلاقة التفارقية بين محدودية القدرات التمثيلية الذهنية ولا محدودية المتصورات نفسها. وفي رأيه فلكي نجعل للمتصورات اللامحدودة حدودا ينبغي أن نرتكز على التركيب وما يستفاد منه من دلالة بأن نجعل لكل طراز دلالي تركيبه النمطي الخاص به (Fodor : 1998, 90).

ويتجه البحث في هذه الفقرة إلى استخراج الأبنية الطرازية للتكرير وما قد تفيده من دلالات نمطية.

على أنّه يستحسن التوقّف عند تمييز العرفانيين بين طراز عام global prototype وطراز محلي local prototype وهما تسميتان نستعيرهما من لنقكار (انظر السابق 381 - 383) لنصطلح بالأول على نوع يمثل في التكرير المركز الذي تتحدد بالنسبة إليه بقية الأنواع الطرازية حتى لكأنها محيطة بالنسبة إليه. ونصطلح بالاسم الثاني على ما يمكن أن يمثله نوع تكريري محيط أو فرعي بالنسبة إلى بنى تكريرية قريبة منه وفيها يمكن التمييز بين طراز محلي - وهو فرعي بالنسبة إلى العام - ومحيط فرعي تتحدد محيطيته لا بالنسبة إلى الطراز العام بل بالنسبة إلى ذلك الطراز المحلي.

لا يمكن أن تسعفنا نصوص النحاة برؤية طرازية للتكرير فحديثهم عنه كان مشتّتا متفرقا لا خيط يصل بين جميع ضروبه. لكن تركيز

النحويين كان على بنية التوكيد اللفظي (أ ⇔ أ) حتى لكأنها البنية المقصد التي تمثل أرقى شكل نحوي للتكرير. وبالرجوع إلى ما قالوه متناثرا في هذا الباب يمكن أن نجمع بعض العناصر التي تجعل من بنية (أ ⇔ أ) البنية الطرازية العامة لظاهرة التكرير.

- التكرير صريح وغير صريح والأصل (النمط) الأول وهو ما نجده في البنية (أ ⇔ أ) (ش. م : 39/3)
- التكرير لفظي ومعنوي أو لفظي فقط والطراز هو الأول وتمثله البنية نفسها.

- التكرير يكون بالعطف أو من دونه والأصل أن أسماء التأكيد لا يعطف بعضها على بعض (ش. م : 40/3).

- التكرير يكون بإعادة جزء المكرر (معنى) أو بإعادة معناه كاملا والأصل هذا الأخير.

- التكرير يكون بإعادة السابق لإزالة الوهم والغفلة عن السامع، هذا أصل فيه ويدرك من البنية (أ ⇔ أ)

- التكرير يكون في الأسماء والأفعال والحروف والجمل وكل كلام (ش م 3/41) ولا يكون ذلك إلاّ في (أ ⇔ أ)

- التكرير يكون بإعادة لفظين متماثلين من جهة المحل الإعرابي والوظيفة النحوية وهذا لا توفره بالتمام إلاّ البنية (أ ⇔ أ)

إن هذه الشروط التي تصنع الطرازية العامة لظاهرة التكرير يمكن أن تختزل في ما اصطلحنا عليه بالاستنساخ الذي يظهر في مستوى البنى الرمزية اللغوية كلها (الصوتي ـ الدلالي ـ الإعرابي ـ التركيبي) وفي مستويات البنى التمثيلية الذهنية بأن يقصد من إعادة المثيل تنشيط نفس الصور الذهنية الموجودة سلفا بواسطة الذاكرة (القصيرة المدى أو الطويلة ...).

لكن الاستنساخ التركيبي ـ المكوني وإن كان تاما في مستوى تطابق البنى التركيبية والمكونية المكررة في حيز تركيبي معيّن فإنه من الصعب أن يكون كذلك في مستوى إدراكي لان الغرض من التكرير ليس إحداث تعطيل في مستوى معيّن من مستويات تمثيل الرسالة المسموعة لمجرد التعطيل، بل إن الغرض منه لفت الانتباه إلى المكرر حتى يصبح بؤرة الرسالة.

3 - 2 - 2 - *الطراز والمحيط في بنية* (أ ⇔ أ) :

يمكن تحديد البنية الطرازية المحلية local prototype والمحيطة بها اعتمادا على مقياسين هما التجاور بين المكررين وعدم التجاور من ناحية وعدد المكرر من ناحية ثانية .فمن جهة موقع المكرر فإن الأصل في التكرير أن يتجاور المتماثلان تجاور التصاق وتتابع ولا يفصل بينهما عنصر. ذلك أنّه لو افترضنا أنّ لنا متتالية (أ . ب . ج) وسوف نكرر فيها عنصرا وحيدا هو (أ) مرتين فإن التكرير يمكن أن يتخذ أربعة مواضع مختلفة كالتالي :

(22) ـ أ : أ أ ب ج.
ـ ب : أ ب أ ج.
ـ ج : أ ب ج أ.
ـ د : ب أ ج أ.

فالطراز هو (أ). إذ إنّه لاعتبار إعرابي أو محلي يُقتضى أن يتتابع المكرران لأنهما يقعان في نفس المحل الإعرابي ويشغلان إذا ما كانا اسمين الوظيفة نفسها ... ونحن نصطلح على هذا الضرب بالتكرير التتابعي، ونصطلح على (22 ب ود ج) بالتكرير غير التتابعي (ب : د) تقاطعيّان و(ج) دائري أو مغلق.

لكن اجتماع المكررين في محل إعرابي واحد ليس من وجهة نظر عرفانية إلاّ نتيجة وأما السبب فينبغي أن يرد إلى علل تصورية إدراكية

نحن نجدها في هذه الحالة في مفهوم الانتباه attention، وهو عملية ذهنية تقتضي تركيز آلة إدراكية (السمع ـ البصر) على شيء بعينه على حساب غيره من العناصر. وبالانتباه يحدث توجيه الذهن إلى ما لأجله حدث التكرير في الكلام. والتركيز الذي يعتمد على إعادة المكرر تضعف درجته كلما كان الفاصل بين المتماثلين المقصود تكريرهما متسعا ولذلك فإن (22 أ) يمثل النمط الذي يحقق أقصى درجات الانتباه وفيه تكون الذاكرة في أقصر مداها.

ونحن إذا ما نظرنا إلى عنصرين متعاملين هنا : عدم الاستقلال بين عناصر البنية المركبيّة وحاجة كل عنصر فيها إلى أن يتعلق بما يجاوره من ناحية وتدخل الذاكرة التصريحيّة Declarative Memory بشقّيها (ذاكرة دلاليّة Semantic Memory ومرحليّة Episodic) [7] في وصل عناصر المركبات بعضها ببعض وخصوصا عند الحذف أو التقدير أو الإضمار ... من ناحية ثانية، إذا نحن نظرنا إلى هذين العنصرين اعتبرنا أن تأويل المكرر في (22 ب) أو (22 د) تختلف عن تأويله في (22 أ).

يتفق أغلب النحويين على أن (23 أ) و (23 ب) متساويان :

(23) ـ أ : قد ثبت قد ثبت زيدٌ أميرا

ـ ب : قد ثبت زيدٌ أميرا قد ثبت (أنظر مثلا سيبويه : 125/2)

وتساوي البنيتين راجع في رأي النحويين إلى أن المكرر واحد في المثالين، فموقع المكرر بذلك غير مفيد ويقتضي ذلك أن البنية (أ ب أ) تساوي البنية (أ أ ب). وهذا لا يتماشى مع طرحنا للمسألة فالتحويل الموقعي للمكرر قد أدّى لا إلى إعادة الفعل ومؤكده (المركب الفعلي)

(7) الذاكرة التصريحيّة هي قسم من الذّاكرة البشريّة تجمّع جملة من التمثيلات الدلاليّة أو المرحليّة التي يمكن أن تخزّن في الذاكرة طويلة المدى وأن تقبل المعالجة في ذاكرة العمل. ومن أمثلتها : مفردات لغة معيّنة ؛ المتصوّرات ؛ الصّورالذّهنيّة ؛ مراحل من السيرة الذّاتيّة.. (انظر : G.Tiberghien, Dictionnaire des sciences Cognitives p171)

وحسب بل إلى إعادة كل مكونات الجملة (الفعل والفاعل والمنصوب تمييزا) ولكن العنصرين الأخيرين قد حذفا لوضوحهما في السياق، ولن يتم الكلام دونهما فقد صارا متعُلقين بالفعل ومؤكده ومخزنين في الذاكرة ويصعب أن يدرك السامع للجملة (23 ب) الفعل من غير هذا التعالق الحادث بين العناصر جميعا في ذهنه.

وبناء على هذا التصور فإن المقارنة أو التقارب ليس بين (23 أ) و (23 ب) بل بين هذه و(23 ج) التالية :

(23) - ج : قد ثبت زيدٌ أميرا قد ثبت زيدٌ أميرا

والفرق بين (ج) و (ب) أن الأولى تمت عناصرها والثانية قد قدر بعضها واعتمد على الذاكرة القصيرة المدى لتتميم المقدر وبناء على هذا المعطى قال النحاة القدامى ان المقدر كالمذكور.

ولنا أن نثني بمثال آخر لتأكيد الفرق بين البنية التتابعية الطرازية والبنية غير التتابعية المحيطة ذكره صاحب الكتاب (125/2) وغيره من النحاة :

(24) - وأمّا الذين سُعِدوا ففي الجَنّة خَالِدينَ فِيهَا. (هود: 108)

يرى سيبويه أن التوكيد اللفظي في هذا المثال هو في حرف الجر ومتعلقه (فيها)، وبناء على المعطى السابق القاضي بتساوي التكرار التتابعي مع غير التتابعي فإن الوجهين التاليين متكافئان :

(24) - ء : .... ففي الجنة خالدين فيها.

(24) - ب : .. ففي الجنة فيها خالدين.

ونحن نرى أن ما يفضي إليه التكرير التتابعي لا يفضي إليه غير التتابعي ذلك أن قراءتنا لـ (24 ء) تؤدي بنا إلى أن نعتبر الظرف المكرر إما راجعا إلى تحديد معنى وجود الغائبين (الذين سعدوا) أي هم في الجنة

مستقرين، وإما راجعا إلى معنى خلودهم وهذا ما نوضحه بالاعتماد على الشكل التالي :

(24 ءَ) : [هُمْ (في الجنةِ في الجنةِ) خالدين]

تكرار معنى الاستقرار

(24 ءَ) : [(هُمْ في الجنةِ) (في الجنةِ خالدين)]

ظرف الاستقرار ظرف الخلود

فهاتان القراءتان ممكنتان في حال تتابع المكررين. لكنّ إمكانا واحدا وَارد في (24 ب) أي في حال عدم التتابع الذي هو نص الآية، إذ سيكون الظرف فيها متعلقا بالخلود في الجنّة في حين يتعلق الظرف الأول (في الجنة) بمعنى الوجود والاستقرارفيها :

(24 ب) : [(هُمْ في الجنةِ) (خالدين فيها)]

فضاء الاستقرار فضاء الخلود

إن المثال (24ء) ليوضح كيف أن النمط التتابعي في البنية (أ ⇔ أَ) هو الطراز بحكم أنه من الممكن أن يتوفر على التحليلين أعلاه ولا يتوفر (24 ب) إلاّ على تحليل واحد لذلك يعدّ محيطا بالنسبة إليه.

فإنّ من الواجب وبالإضافة إلى مراعاة موقع المكرر في تحديد البنية الطرازية والبنية المحيطة أن يراعى عدد المكرر لنفس الغاية. فإذا كانت بنية التوكيد اللفظي مفتوحة نظريا على اللانهاية (+ ∞) فإن ذلك الإمكان الرياضي غير وارد في أيّ إنجاز فعلي للكلام. فالتكراريّة محدودة عددا في أي استعمال لعبارة مكررة وعموما فإن العدد المثنّى في التكرير هو العدد النمطي في أي بنية (أ ⇔ أَ) والعدد المثنّى وإن كان وسطا بين المفرد والجمع فإنه عند النحويين أوّل الجمع فلا تعني اثنينيّة اللفظ بالتالي

حصرا للعدد بل مدخلا للتعدّد. وزيادة عدد المكرر على الإثنين (ما به تخرج البنية من الطراز إلى المحيط) يكون بحسب اقتضاء الزيادة.

إن التعدد في البنية المكررة (أ ⇔ أ) قد يصبح محطّ الاهتمام وبؤرة الانتباه في بعض الاستعمالات التي يكون من المفيد التوقف عندها وفيها فإنّ الانتباه الذي ذكرناه سابقا والحادث بالتبئير على المكرر لا يراعي فقط دخول الخطاب في إعادة مبرّرة بل يراعي كذلك عدد المكرّر. بل إنّ العدد ليصبح هدف جلب الانتباه ولا يكون للعدد هذا التركيز إلاّ إذا كان مفيدا أو بالأحرى متواضعا على إفادته. ويمكن أن يكون العدد المكرر مواضعة ذهنية بين جماعة ثقافية معينة. وفي هذا السياق فإنّ بؤرة الانتباه لسيت مقتصرة على ما يريده المتكلم المستعمل للتكرير بل ما يريده من خلال المواضعة الثقافية التي ينتمي إليها ونحن نعتمد الأمثلة التالية لتوضيح هذه الفكرة.

(25) - أ : اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ
- ب : أنتِ طالقٌ طالقٌ طالقٌ
- ج : .... فنكاحها باطلٌ باطلٌ باطلٌ (من حديث نبوي شريف).

في المثال (25 أ) يكون عدد المكرر مقنّنا إذا تعلق الأمر باستعماله في مقام الأذان وليس للمؤذّن أن يخرج عن هذا العدد المقنّن إذ ليس عدد المكرر مفيدا إلاّ في اطار هذه المواضعة الثقافية المعينة. فالانتباه هنا ليس مركّزا (في ذهن المقبل على الصلاة مثلا) على العدد بما هو كمٌّ تكراري لمثيل بل إنّ التركيز ينصبّ من خلال العدد على أشياء خارجة عنه، وقد يسمّى هذا الضرب من التكرير المنصّب لا على العدد بل على الهدف منه (خارج الرسالة) بالإنتباه الموجه بالغاية goal-governed attention وعن هذا الضرب من الانتباه يقول إنقار Brinek Ingar, Pragmatics 2/266 : "في هذه الحالة فإن تبئير الإنتباه

attention - focusing لا يستنتج بواسطة الموضوع subject نفسه بل يكون مُثارا بالمحيط ويقود إلى عمل مخصوص. فالهدف يوجّه الانتباه (السابق) ويرى أنّ هذا الضرب من الانتباه الذي يوجّهه الهدف لا يقود إلى اتّجاه متين خطر في الكلام، وفي المثال أعلاه (25 أ) فإن الإنتباه لا يقود إلى اتجاه غير مألوف فالمنتظر أن يكون العدد المثنى نهاية المقطع من الآذان حتى ينتهي كله فالإنتباه يركز من خلال عدد هذه المكررات الثنائية قطعة قطعة وعبر محور زمني إلى إنتهاء الآذان لبداية الصلاة وهذا هو الهدف الذي يوجه الانتباه إلى عدد المكرر في جميع مقاطع الآذان ويرى "برينك انقار" أن الانتباه يمكن على العكس من ذلك أن يركز على اتّجاه إلى محور اهتمام كبير وعندها يكون الانتباه قصْديّا فيه نية محددة سلفا لذلك الانتباه. ففي (25ب) فإن التركيز على عدد العبارة المكررة (طالق) يمثل بؤرة الانتباه الأكبر ؛ وهذا الانتباه توجّهه نيّة قصديّة عند الناطق بالجملة ويواضعه عليها المتلقّي لها. فإن توقف العدد عند اثنين كان في الطلاق رجوع وإن تجاوزه إلى ثلاثة لا يكون معه رجوع. فموضوع الانتباه وهو العدد ومحوره الطلاق وهما موضوع الإدراك في هذا السياق يرتكزان على مواضعة ثقافية معينة بين الناطق والمُجْرَى عليها هذا النطق. وعندئذ يصبح العدد في هذه الأرضية الإدراكية - وهي ثقافية - شيئا متواضعا عليه يحدد سلفا مقصد الرسالة ويوجّهها.

هذا الكلام يستقيم إذا ما قرئ (25 ب) في ظل الثقافة القديمة ولكنّ العدد لم يعد له هذا الميزان في إطار كثير من المواضعات الثقافية العربيّة الحديثة ؛ فالعدد لا ينشئ الطلاق سواء أكرّر أم لم يكرّر.

أمّا إذا نظرنا إلى المثال (25 ج) فإن ثلاثية العبارة المبطلة للنكاح لا تبدو مفيدة أو منشئة بذاتها لهذا الإبطال أو التحريم ؛ ولكن العدد يُقرأ في ضوء أرضية ثقافية يرمز فيها عدد المكرر هنا أو في (25 ب) إلى الإبطال والتحريم، فنمطية العدد المكرّر نابعة من رمزية المتصوّرات في المرجعية الثقافية المخصوصة.

إننا نصل من خلال هذا إلى ما وصل إليه بعض البراغماتيين من العرفانيين من أنّ فعل الكلام يتقاطع فيه النفسي والاجتماعي لأنّ الفضاء الذهني فضاء متعدد الأبعاد.

3 - 2 - 3 - البنية (أ $^{\theta}$ ~ أ`) :

تعدُّ هذه البنية الاقرب إلى البنية النمطية العامة (أ ⇔ أ`) بحكم أن الاتّفاق حادث في أغلب العناصر (النمط ـ معنى ـ إعراب) ومختلف في المرجع.

ولقد ميزنا في الفقرة السابقة من المبحث بين نوعين متحققين بهذه البنية

(26) - أ ـ جاء ربّك والملك صفّا صفّا.
- ب ـ قرأت الكتاب صفحة صفحة.

ونحن نعتبر (26ب) بنية طرازية و (26 أ) محيطة لأنّ المكررين مترابطان في (ب) أشدّ الترابط على شاكلة الترابط بين متجاورين في بنية (أ ⇔ أ`) ولا وجود لإمكان حذف أو تقدير كما في (أ). فلا يمكن ان نؤوّل (ب) بتفكيكه إلى تركيب كالتالي :

(27) ـ أ : قرأت الكتاب صفحةً (أ)
ـ ب : قرأت الكتاب صفحة (أ`)

فالعنصران (أ ⇔ أ`) لا يفصلهما كما في البنية التكرارية التتابعية عنصر أو أكثر يقوّي إمكان الحذف والتأويل لسدّ شغور المنقوص. لكن (أ) في المثال أعلاه يقبل القسمة التي في (28) كالتالي :

(28) - أ : جاء ربك صفّا (?) [= في صف]
- ب : جاء الملك صفّا (?) [= في صف]

فكأن أصل التركيب جملتان متعاطفتان حدث في إحداهما حذف واختزال لعب العطف دورا هاما فيه كالتالي :

- عطف جُمع فيه بالأداة الصريحة ϑ بين مكونين إسناديّيْن مِثْليْن (ربك / الملك)

- عطف جمع فيه بالأداة المقدرة $\vartheta^{\sim}$ بين مكونين اسناديين مثلين مُعَجَّمَيْن تعجيما واحدا هما (صفّا / صفّا) وهذا ما يجسّده الشكل التالي :

(29) - أ : جاء ء صفّا

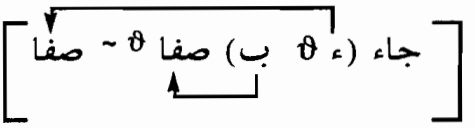

- ب : جاء ب صفّا

وهكذا نرى أن التكرير اللفظي إنما هو أثر لتكرير تركيبي أعمّ كان العطف فيه متحكّما في توالد البنية بالتناسخ من غيرها. وما دام الأمر موكولا في أصله إلى التنسيق فإن التماثل اللفظي أو البنيوي/التركيبي لا يحيل على تمثل تصوري بحكم أن الاختلاف المرجعيّ أمر ثابت من أوّل مكوّن في التركيب وهو الفعل وصولا إلى آخر مكون هو الحال (صفّا). فالتكرير الذي يلحظ على سطح البنى اللغوية يحيل من جهة التصور على ضربين من المشهدية التصويرية احداهما عامة فيها رتابة وتكريرٌ لحدث واحد وهيئة واحدة وأخرى خاصة تختلف باختلاف طرق تحقيق ذلك الحدث من جهة فاعله وتموقعه على المشهد التفصيلي (صفّا).

على أن كلامنا السابق لا ينبغي حمله على التنميط البنيوي داخل هذه التركيبة التكريرية (أ $\vartheta^{\sim}$ أ) فليس مجرد التشابه في تنظيم العناصر يقود إلى الانتماء إلى نفس النمط كما يؤكد ذلك المثال التالي (30) :

(30) - جاء النّساءُ والرجال فردًا فردًا

هذا المثال يبدو في الظاهر مندرجا في بنية (جاء ربك والملك صفّا صفّا) لكن تحليله باعتماد نفس النهج المجرى على هذا المثال لا يجعله ممكنا إذ إنّ ذلك يقود إلى لا نحوية المثال :

(31) - أ - * جاء النساء فردًا

- ب - * جاء الرجال فردًا

ولا يمكن أن يعد بالتالي اختزالا متخذا الشكل النمطي التالي :

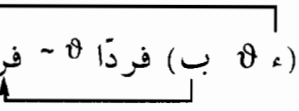

وإنما يرتبط (ء & ب) معًا بالمركب المكرّر بعنصريه جميعًا إرتباط الجنس بأفراده الخارجيّة ولهذا فإنّا نجده مندرجا ضمن نمط (قرأت الكتاب صَفْحَةً صَفْحَةً).

وبالمثال (31) نؤكد على أن التنميط لا يعتد بتعاقب البنى النحوية كما يعتدّ به الهيكليون بل على العكس من ذلك تساهم البنية الواحدة في بناء وضعيّات ذهنيّة متخالفة. على أنّ ذلك لا يمنع من أن نقول إنّ الرؤية العامة التي يمكن أن تستفاد من البنية التكريرية (أ ϑ ~ أ) تكون موجهة إلى تفصيل أنواع جنس مقدر أو مذكور بذكر أفراده الخارجية ذكرا لا يقصد به الإحاطة الذكرية (استنفاذ الألفاظ المطابقة له عددًا) بل الإحاطة الذهنية الرمزية فالعدد المثنى يضحي بحق رمزا للجمع النهائي المتطابق مع الأفراد الخارجية للشيء المفصّل.

أما إذا تطابق العددُ مع أفراده الخارجية كما في (26) فإن ذلك يجعل الرؤية حصرية فيتقيد المشهد بالرمز اللفظي الموضوع له.

3 - 2 - 4 - البنية (أ ϑ ≈ أ) = المركبات / الكنايات

يمكن التمييز في صلب هذه البنية بين ثلاثة ضروب فرعيّة :

- الضربُ الأوّل يتفق فيه المكرران من جهة اللفظ بنية و تعجيما ومن جهة المعنى ولكن يختلفان من جهة المرجع ومثاله (هو جاري بيت

بيت) ونعتبرهذا الضرب الطراز في بابه بحكم أن العناصر الرابطة بين المكررين فيه أكثر من المفرّقة.

- أما الضرب الثّاني فإنّ اللفظين المكررين يلتقيان في البنية (من جهة وزن الكلمة) وفي أغلب الحروف ويختلفان في لفظهما والمهم عند بعض النحويين أن يتفقا في الوزن وفي الحرف الأخير (ش.ك : 367/2) وليس مهما ههنا أن يكونا مبنّيينْ أو مُعْرَبَيْن رغم أن البناء يقوي الانتماء إلى البنية (أ $^{\vartheta}\approx$ أ) والاعراب يضعفه ومثاله (لقيته صَحَرَهْ بَحَرَهْ) وسنرمز لهذه البنية المحيطة الأولى بـ | أ $^{\vartheta}\approx$ ب + | كناية على تغير العنصر من جهة التعجيم و (+) يشار بها الى وجود المعنى على خلاف البنية اللاحقة.

- وأما الضرب الأخير فان التكرير فيه لا يدرك لا في المعنى ولا في المرجع فكلاهما معدوم ولكن يدرك في الوزن ومثاله (هو حسنٌ بسنٌ) وهذا الضرب وسابقه يطلق عليهما بعض النحويين اسم "الإتباع" (السابق). والغرض من هذا النمط الثالث حسب النحويين "تزيين الكلام لفظا وتقويتة معنى" (ش.ك : 367/2) وحتّى وإن كان المكرر مثل (بَسَنٌ) في المثال السابق عديم المعنى في العربيّة وإنّما يكتسب معناه من هذا التجاور. ويمكن أن نرمز لهذه البنية المحيطة الثانية بـ | أ $^{\vartheta}\approx$ ب - | التي لا يحمل العنصر المكرر (ب) فيها أيّة قيمة دلاليّة في ذاته (لهذا رمزنا إليه بالعلامة -).

إنّ البنية المحيطة الأولى والثانية ترتبط بالطرازية من جهة الدلالة بما نسميه هنا الإحالة المبهمة أو الذاتية؛ وإن كنّا قد بينا جزءا من الإحالة المبهمة في عنصر سابق فإننا نعود الى المسألة نفسها من جانب آخر وهو جانب طرازية المعنى والتصور.

إن البنية (أ $^{\vartheta}\approx$ أ) يختصّ التكرير فيها في الأصل بالإحالة المبهمة أو شبه المبهمة فالإحالة المبهمة تكمُنُ في تكرير ظرف مبهم من جهة

مرجعه الأصلي مرتين (كما في يَوْمَ يَوْمَ) وهو لا يحيل على (يومين) مبهمين كما قد يدل عليه تأويل المركب العطفي (يَوْمٌ فَيَوْمٌ) و إنما يدل على إضافة يوم مبهم منكور إلى يوم آخر مبهم هو نفسه منكور و بهذا يصبح من الملائم موافقة بعض النّحاة القدامى في اعتبار أنّ اصل التركيب إضافة (يَوْمَ يَوْمٍ). فالابهام جاء من إضافة الشيء إلى نفسه وكان الابهام يزول لو أضيف إلى يومٍ معرف (يوم الأحد) ولكن إرادة الإحالة على مرجعٍ مبهم غير معروف إلا لمن له معرفة عهدية به هو الذي جَعَلَ المتكلم يجنح إلى هذا الضرب من الإضافة؛ فالقصد من الإضافة [8] هنا ليس التبيين بل عكسها و هو الابهام.

فعمل الذاكرة (أثناء العمل أو القصيرة المدى) غير مفيد في مثل هذا التركيب و الذاكرة طويلة المدى غير مفيدة بدورها في إعادة بناء المشهد إلا إذا كانت على علم عهدي باليوم المقصود. فهذا المركب يلعب من هذه الجهة لا دور التوضيح و التبيين بل دور حصر المشهد وقَصْرِه على عدد محدود من المتلقّين فاللغة تقوم بدورٍ انتقائي إشاري ههنا.

وفي البنية (أ $\overset{\theta}{\approx}$ أ) فان الإحالة ممكن أن تكون شبه مبهمة - أي أقلّ إبهاما - في أمثلة أخرى (بيْتَ بيْتَ) التي يفترضُ أن تكون مؤسّسة ولو على سبيل افتراض امتلاك المشهد على معلومٍ هو الذي وسمناه سابقا بالمَعْلم.

لكن درجة الابهام تقل بالنسبة الى البنية المحيطة الأولى | أ $\overset{\theta}{\approx}$ ب + | إذ الإحالة فيها لا تتم عبر ظرف مبهم بل عبر ظرفين معلومين لا يمكن أن تقوم العلاقة فيها على الإضافة - كما افترضنا في السابقة - فـ (صحره بحره) يفترض التعالق بينهما الجمع بالتعاطف فدرجة الإشارية المبهمة في هذا المركب قليلة.

---

(8) نحن نقول اليوم في تونس تركيبا تكريريا قريبا من هذا وهو (نهارتْ النّهارْ) حيث يدل التركيب الإضافي على مرجع مبهم غير معلوم إلا عهديّا .

وتزداد درجة الإبهام الإحالي في البنية المحيطة الثانية | أ $\overset{\theta}{\approx}$ ب . | التي لا يحمل العنصر المكرر (ب) فيها أيّة قيمة دلالية في ذاته ف (حسنٌ بسنٌ) يبرز فيه التعالق العطفي حتى إنّه من الممكن أن يحذف العنصر الزائد فان لم يحذف فانه يكتسب معناه من تعالقه بالعبارة الأولى.

وهكذا فان البنية كلّما قبلت أن تؤوّل بالعطف وقبلت الإعراب كان الإبهام فيها أقل وكلّما كانت على هامش العطف قابلة للتأويل بالإضافة كان الإبهام فيها أكثر. وهذه هي التي نعتبرها بنية نمطية في (أ $\overset{\theta}{\approx}$ أ) بحكم أن الكلمة كالجزء من أختها وأنها تستعمل في سياق الإحالة المبهمة. ولكن جميع المركبات المنتمية إلى هذه البنية تشترك فيما نسميها بالإحالة الذاتية sui-référence بمعنى أن الكلمة تتحدد دلاليا ومرجعيا بإحالتها على نفسها.

وأقصى درجات هذه الإحالة في (أ $\overset{\theta}{\approx}$ ب-) التي تستمد العبارة (ب-) هويتها الدلالية وبالتالي المرجعية من (أ) العنصر السابق لها.

3 - 2 - 5 - التكرير الاستعاري :

لا يمكن أن نُغْفِلَ ونحن نتحدث عن هذه البنى التكريرية الطرازية والمحيطة نمطا نادرا ولكنه مندرج بالضرورة في هذا الباب ونضرب له المثالين التاليين :

(3 2) - أ - رأيتُ بدْرًا بدرًا في جماله.
- ب - كاد يزيدُ يزيدُ الطين بلّة.

العلاقة بين اللفظين المكررين هي علاقة تشاكل لفظي لا غير يمكن أن نطلق عليه مصطلح التماثل الشكلي Homomorphisme وبه نعني تماثلا في مستوى البنية اللفظية الظاهرة والبنية الصرفية كذلك وهو تماثلٌ جاء في الظاهر من نطق عبارتين ليس بينهما توافق دلالي نطقا واحدا.

ففي (أ) فان (بدْر) الأول تعني اسما علما والثانية تعني الكوكب وهما في محلّين إعرابيّين مختلفين (المفعول الأول والثاني).

وفي (ب) فان (يزيد) الأول علم والثاني فعل مضارع مرفوع الأول في محل رفع بما هو اسم لفعل المقاربة والثاني في محل نصب بما هو خبر للفعل نفسه.

ويمكن التمييز بين ضربين من هذا النوع من التكرير على أساس نسقي syntagmatique إعرابي محلي فصنف منه يقع المكرران المتماثلان فيه في نفس المحل الإعرابي كما الشأن في المثال (أ) ونرمز له بالشكل التالي [أ ⇔ أ]. وصنف ثان لا يشترك المكرران فيه في نفس المحل الإعرابي وهذا شأن (ب) ونرمز له بـ : [أ ⇔ أ].

كما يمكن التمييز بين المكررين على أساس جدولي paradigmatique من جهة تعيين نوع المكونين المتماثلين أهما اسمان كما في (أ) أم هما اسم وفعل كما في (ب).

وبناء على هذين التمييزين النسقي والجدولي سوف نعتبر المثال (أ) بنية طرازية بحكم أن الأصل في المكررين التماثل محلا والتماثل صنفا. وأما المثال (ب) فمحيط به لأنّ مكونيه لا يتماثلان جدوليّا لا محلا ولا صنفا. فبنية (ب) بنية محيطة بالنسبة إلى بنية (أ) الطرازية. وهذا الضرب من التكرير يطرح اشكالين :

- أولهما يتصل بتماثله تماثلا تاما مع بنية (أ ⇔ أ) فليس يعرف - إلاّ اعتمادا على سياق أو مقام - هل أن (أ) أعلاه من بنية التوكيد اللفظي أم من هذه البنية التي وسمناها ببنية التكرير الاستعاري.

ولكن هذا الأشكال يمكن أن يحل على أساس مقارنة توزيعية بين بنية (أ ⇔ أ) والبنية الاستعارية وتتمثل في أنّ الاختلاف المحلي - الجدولي التام او شبه التام الذي هو سمة هذه البنية والاتفاق المحلي - الجدولي التام بين

مكونات (أ ⇔ أ) يجعل توزيع هذين المكونين توزيعا ممكنا وفق جميع المتغيرات الإعرابية أو المحلية أو غيرها من العلاقات النسقية؛ ولكن توزيع مكوني البنية الاستعارية هو توزيع محدود بحيث لا يلتقي المكونان المتماثلان التقاء تاما (نعني تشابها من جهة الإعراب والصيغة والتعجيم) حين يحدث وقوع في نفس المحل الإعرابي أو يحدث تشاكل لسبب إعرابي (النقص الإعرابي من "يزيد" علما) بين المكونين المتفارقين في الاصل.

فإذا كان من الممكن أن نقول وفق بنية (أ ⇔ أ)

(3 3) - رأيت بدرًا بدرًا - جاء بدرٌ بدرٌ - مررت ببدرٍ بدرٍ

فإنّه من غير الممكن أن نقول وفق البنية التكريرية الاستعارية جميع الامكانات السابقة فالإمكان الأول فقط نحوي :

(3 4) - رأيت بدرًا بدرًا - * جَاءَ بَدْرٌ بَدْرٌ - * مررت ببدرٍبدرٍ

كذلك الأمر بالنسبة إلى تقليب المثال (ب) أعلاه داخل البنية الاستعارية :

(3 5) - جاء يزيد يزيدٌ - * رأيت يزيدَ يزيدَ - * مررت بيزيدَ يزيدَ

- أما الإشكال الثاني - وفيه نطرح قضيّة تسمية هذا الوجه التكراري بالاستعاري - فمُتَمثّل في العلاقة الدلالية بين اللفظين المكررين بما هما وحدتان معجميّتان. فالتكرار حادث في هذه البنية بين لفظ حقيقي و آخر استعاري أو قل إن التجانس واقع بين لفظ في استعماله المعجمي الأصلي و آخر في استعمال متطور عنه ونحن نعالج هذه القضية هنا من منظار طرح العرفانيين لمسالة الاستعارية metophorism.

يرى العرفانيّون أنّ الاستعارة هي إدراك ميدان من التجربة بواسطة ألفاظ ميدان آخر ويضيفون أنّه، وفي أيّ مجال استعاري، يمكن أن نميّز

بين الميدان المصدر source domain والميدان الهدف target domain الميدان المصدر يكون في العادة ميدانا حسّيّا والميدان الهدف يكون ميدانا مجرّدا. ففي قولنا مثلا :

(هو حقا شخص بارد) أو (قد رحّب بنا ترحيبا حارا) فإن الميدان المصدر هو معنى اللمس والميدان المرجع هو أقصى درجات متصوّر الحميمية تجريدا. ويرى جنسُون Johnson أن الاستعارة ليست طريقة من طرق الكلام بل من طرق التفكير أيضا (37-127 : 1987) وفي نفس هذا الاتجاه يذهب Langaker إلى أنّ "الاستعارة تصور بشكل رائع التمازج بين الاعتبارات الثقافية والعرفانية" (Pederson & Nuyts 1997, 241) وفي المثال (32 أ) أعلاه فان (بدرًا) الثانية تنتمي إلى ميدان هدف هو ميدان يدل على متصوّرمجرّد : الجمال وشدّته وتعكس في آن طريقة من التعبير هي قاسم ثقافي مشترك يجعل إدراك الجمال الأقصى يقترن بالكوكب الطبيعي.

لكن العبارة الاستعارية (بدْرًا) الثانية تحضر في سياق المثال نفسه جنبا لجنب مع عبارة أخرى مستعملة هناك استعمالا استعاريا فهي تعيّن ذاتا علما ولكن تربطها بها صلةٌ معجمية تفيد بأنّ هذا الاسم مستمدّ من ذاك أو أن تسمية الذات باسم (بدْر) هوتوسيع لمجال وسم الخارج بهذا الاسم. فالعلاقة بين (بدر) الأولى و(بدر) الثانية علاقة استعارية من هذه الجهة وبلغة العرفانيين فان المثال (32 أ) قد جمع جمعا نسقيّا بين لفظ من الميدان المصدر (بدر الثانية) ولفظ من الميدان الهدف (بدر الأولى) وتركبا بشكل خالف فيه التركيب أصل العلاقة المُوَاضَعِيَّة بين اللفظين. فما كان لفظا منتميا إلى الميدان المصدر صار منتميا إلى الميدان الهدف والعكس. فهذا الانتقال بين الميدانين جدوليا.

ونسقيا هو ميزة هذا الضّرب من التكرير وليس كذلك الشان في (أ ⇔ أ) ففيها ينتمي العنصران إلى ميدان واحد لا نقلة فيه ولا استعارة.

أما في المثال (ب) فان الانتقالية من استعارية إلى أخرى لم يحدث بل حافظت العبارات على تعالقها الاستعاري الأول.

- يزيدُ : ميدان مصدر = فعلا

- يزيدُ : ميدان هدف = اسما علما مشتقّا من الفعل المضارع المرفوع.

وهكذا فان ميزة هذا التكرير الجمع بين لفظين بينهما تعالق استعاري في مستوى المواضعة غير التركيبية والطريف فيه أن التركيب يجمع بين ميداني الاستعارة الهدف والمصدر كليهما ولا يحدث ذلك في الكلام الاستعاري العادي. لكن ماذا يفيد هذا الجمع (المائل إلى التكرار) بين ميدانين الأصل فيهما أن يتعاملا تعاملا ذهنيا لا ذكريّا ؟

لمناقشة هذه المسالة ينبغي لنا أن نعود إلى المثال (أ) أعلاه بمقارنته بنماذج أخرى لها صلة دلالية به.

(36) - (أ) - رايْتُ بَدْرًا بَدْرًا
- (ب) - رايت الرجُلَ بَدْرًا
- (ج) - رايت بَدْرًا قمرًا في الجمال
- (د) - رايت بدرًا بحرًا في الكرم

الفرق بين (36 أ) و (36 ب - ج - د) في الاختلاف المرجعيّ واللّفظيّ بين المستعار له التّمثيل ولفظ الاستعارة في (الرجل/البدر ؛ بدر/قمر ؛ بدر/بحر) من ناحية والاتفاق اللّفظي دون المرجعيّ في (بدر/بدر) من ناحية ثانية. وليس الأمر في (36أ) مجرد مجانسة لفظية بتكرار متماثلين بل يتعداه إلى ما هو أبعد منه وهو خلق ضرب من التجانس التصويري بين متصور بشري (بدر) و آخر طبيعي (بدر) والتجانس التصويري الذهني يمر من خلال إيماء إلى التشارك اللغوي لا في اللفظ بل في ما وراءه نقصد المواضعة وما يمكن أن يحيل عليه

اللفظان من تراسل دلالي. فاللفظ الاستعاري هنا يحيل إحالة ذكرية على اللفظ غير الاستعاري ليكسبه دلالته الاستعاريّة وليذكّر أنّ اشتقاقه منه هو نوع من إكساب الدلالة الاعتباطية (بدر) الأولى معناها الحقيقي عبر المرور بالاستعارة ؛ فـ (بدر) ما سمّي كذلك إلاّ لاستحقاقه تمثيله الذهني. فالتمثيل الذهني الذي يحيل عليه (بدر) العلم أعيد إلى اصله التمثيلي الذهني الأول نعني ذاك الذي يحيل عليه اسم الكوكب (بدر).

وكذلك الشأن بالنسبة إلى المثال (32 ب ؛ كاد يزيد يزيد الطين بلّة) فإن المقصود من الجملة إقامة صلة بين متصورين قد أكسبهما الاستعمال تباعدا وغربة فأريد إرجاع أحدهما بتقريبه من الثاني. ففي التذكير بالاشتقاق تذكير بما بين متصوّر الحقيقية ؛ المتصوّر الأصلي ؛ ومتصوّر الاستعارة المتطوّر عنه من صلات.

أننا إزاء إحالة ذاتية sui-reference بين العبارة الدالة على الحقيقة والعبارة الدالة على المجاز بشكل آخر:إحالة اشتقاق أو اتساع في المواضعة.

إن العلاقة الاستعارية التركيبية الصريحة كالتي عرضناها في هذه البنية التكريرية تدفع إلى التفكير في شأن العلاقة الاستعارية الذهنية غير الصريحة فالتصور الذي يستفاد من الجملة (أ) هو تقريبا نفس التصور الذهني الذي حفّز على استعمال لفظ (بدر) لتعيين الاسم العلم بعد أن اختص بالكوكب. لكنّ التحفيز الاستعاريّ في المثال أعلاه آنيّ والتحقيز الثاني زماني ضارب في القدم.

وأخيرا فان حديثنا عن الاستعارية أو المجاز في مثل هذا التركيب ينبغي أن يكون مختلفا عن حديث النحويين عن الاستعارية في التركيب (أ ⇔ أ´) فعندهم أن ذلك التركيب جاء لدحض المجاز و إثبات الحقيقة اسناديا وعندنا أن هذا التركيب (أ ⇔ أ´) جاء لدحض الحقيقة و إثبات المجاز، أو قل لتأكيد ادعاء التجاور الدلالي الذهني بواسطة المجاز.

4 - التكرير في بنية (أ ⇔ أ) والاثر السّمعي

لا يقلّل "لنقكار" Langacker من شأن البنية الصوتمية فهي عنده ليست شكلا للمعنى أو وعاء لهُ بل هي شأنها شأن البنية الدلالية متصوّر فعلي. "فبما أن اللغة - كما يقول - هي كيان عرفاني فإن الدّوال ينبغي أن ينظر إليها لا على أنها مجرد معطيات فيزيانية بل على انّها معطيات فيزيانية نفسية" كذلك (Langacker 87, 78). وما دام الفضاء الصوتمي مندرجا في إطار المتصوّرات concepts فإنه من غير الملائم أن نواصل اعتباره - على غرار الطرح اللساني المألوف - خارج دائرة الدلالة يقول : "ينبغي أن ينظر إلى الفضاء الفنولوجي (الصوتي) على أنه قسم من الفضاء الدلالي" (Langacker 87, 79). وفي سياق حديثه عن الفضاء الصوتمي يطرح "لنقكار" مفهوم الانطباع السماعي impression auditory وهو مفهوم أساسي في تفسير كيف أن الأصوات وحدات إدراكية وأنّ "التمثيل العرفاني للعبارات اللغوية نابع في أغلبه وبشكل مباشر من (هذه) الانطباعات السماعية ولا ينبع إلاّ بشكل غير مباشر فقط من الأمواج الصوتمية التي تنشئ هذه الانطباعات" (السابق 78).

ودراستنا للانطباع السمعي سوف تتناول اعتمادًا على البنية التكريرية (أ ⇔ أ) الوحدات النطقية ما فوق المقطعية المصاحبة للنطق بالعبارات المكّررة وهي النّبرة أو (النغمة / التّنغيمُ). فيفترض أن يصاحب كل تكرير للعبارات التالية في الأمثلة المذكورة نبرة.

(37) - جَاء زيدٌ زيدٌ
(38) - رأسَكَ رَأسَكَ

كلّ بنية مكرّرة حدث التّكرير فيها بتماثُل صوتي يظهر في إعادة نفس الصواتم المكونة لكل عنصر لغوي ولكن أيّ عنصر مكرّر تصاحبه نبرة ليست هي بالضرورة النبرة المصاحبة للعنصر الأول. فإذا كانت البنية الفنولوجية (الحرفية - الحركية) بنية معادة ومستنسخة فان البنية

الفنولوجية النّغمية ليست بالضرورة كذلك والأجدر بها ألاّ تكون كذلك. فيصعب أن يكون نطقنا للفظ الواحد في موقتين مختلفين تناظريّا. وبناء عليه فان التغيير يحدث في البنية النّبرية للمكرّر ومنه يحصل الانطباع السمعيّ. فما يتولد في الإدراك إذن متصوران أحدهما ناجم عن النطق بالعبارة (رأسّك) مثلا و الثاني ناجم عن النغمة أو النبرة المصاحبة للنطق بها.

ولو أخذنا المثال (38) لوجدناه ينطق باستعمال طبقات نغميّة مختلفة يمكن ان نذكر النماذج التالية منها و سنرمز بـ (') للنبر المرتفع و بـ (") للنبر المرتفع جدّا و بـ (_) للمنخفض.

(38) - أ - (راسّك) ' (رأسك) "

ب - (راسك) " (رأسك) '

ج - (رأسّك) ' (رأسك) ' -

إن الانتقال من طبقة نغمية إلى غيرها يوازيه في مقام التحذير الذي يستعمل هذا المركب المكرّر انتقال من كيفيّة إدراك للوضعية الموصوفة إلى كيفيّة أخرى وذلك بمفعول التأثير الحاصل بالانطباع السّمعيّ الموازي لكل طبقة.

ففي (38 أ) مثلا يحدث ارتفاع في المنحنى الصوتي يجعل الوضعية الموصوفة تدرك وكأنّ فيها تطوّرا سريعا في محور الخطر ينبغي أن يوازيه ردّ فعل سريع وفوري لتجنبه فالنبر المرتفع (') في لفظ الأول لا يحمل نفس الشّحنة التنبيهية التي يحملها مجانسه في اللفظ الثاني إذ هو ذو نبر مرتفع جدّا (") ففيه تقوى الشحنة التنبيهية لتدل على دنوّ أكثر للخطر من المحذّر. وعلى النقيض من ذلك فانّ (38ب) يتخذ فيها المنحنى الطبقي للصوت شكلا تنازليا بحيث أن الشّحنة التنبهية المستفادة من الانطباع السمعي تقلّ بين المثيلين المكرّرين ويوازي ذلك على صعيد التصور أنّ الخطر قد زال (ابتعاد النّافذة المفتوحة فجأة عن الرأس)

أو أنّ الخطر المحذّر منه قد حدث (النّافذة قد اصطدمت بعد بالرأس ولا فائدة من التحذير).

وهكذا فان الإبراز في الطبقة النغميّة يوازيه كما يرى ذلك فودور Fodor" إبراز إدراكي perceptual prominence" (Fodor : 1995, 172).

على أنّ الانطباع السمعيّ الذي يصاحب النّطق بالمكرّر و هو في هذا السياق بنية نغمية ذات منحنى تصاعدي تنازلي، لا يوازيه في مستوى الإدراك إبراز (أو إخفات) إلا إذا كان الذّهن قد خزّن بعد هيأة سماعيّة - يصطلح عليها لنقكار بالصورة السمعية auditory image يقتضيها ذلك الترميز الصوتي المتمثل في الطبقة الصوّتيّة النغميّة فعند سماع هذه الطبقة أو تلك يحدث ضرب من تنشيط activation لتلك الصّورة السّماعيّة المخزّنة وهي صورة تمثل جزءا مما اصطلح عليه التصوير التّواضعي conventional imagery وهو غير التواضع الذي تقتضيه العبارات المعجمية وأنما يقتضيه الأثر السّمعي الناجم عن الطبقة النظميّة.

وقد يحدث أن تكون الصّورة السمعية المذهّنة idéalisé ذات أشكال schémas متصوّرية منمّطة stéréortypiques بفعل العادة الاجتماعية الخاصة بجماعة لغوية معينة ونحن نضرب على ذلك نماذج من التكرير المستعمل في اللّهجة التونسية وما يصاحبه عادة من نغمة نمطية تبدو وكأنها جزء من المواضعة الجماعية :

(39) - بَرّ ، بَرّ ، برّ (حرفيّا : واصل .. تقال في سياق تذكّر أحد المتحاورين لأمر كان ينساه أو هو غافل عنه فانتبه إليه عند المحاورة ..)

(40) - يزّي، يزّي (حرفيا : يكفي، يكفي : تقال في سياق الإنكار أو الاستثبات ..)

يرى القائلون بالتعاملية الاجتماعية social interactionists بأن العمليات الذهنية العرفانية والبيولوجية لا تفهم إلا في سياق التعامل الاجتماعي المشبّع بالدلالة (أنظر : Trevor Harley : 2000 , 77) وذلك يعني أن النبرة المصاحبة للنطق بالتكرير أعلاه، قد اكتسبت بحكم التعامل الاجتماعي بعدًا إدراكيا صار مخزونا في ذهن الأفراد وفي ذاكرتهم طويلة المدى. فإذا نطق المكرر بشكل نغمي معيّن اقتضى صورته المخزّنة في الذهن.

ومن جهة أخرى قد يقودنا ذلك إلى القول بأن الانطباع السمعي المصاحب للنطق ببعض المكرر قد يؤثر في مستوى تمثل اللفظ المعاد فيمكن أن نصل باللفظ الواحد وبالنغم المصاحب المختلف إلى دلالة مخالفة.

فلو عدنا إلى المثال (37) وأنجزنا اللفظ (زيد) الثانية بنغمة مختلفة عن الأولى مصحوبة بإشارة (بالرأس، باليد ...:) نريد أن نفهم بهما (بالنّغمة المغيّرة وبالإشارة) من نعني (بزيد) حين نلحظ بنطقنا الأول لهُ أن المتلقي أنكره عندها يحدث إنطباعٌ سماعيّ من النغمة الثانية مختلف عن الإنطباع السّماعيّ الحاصل من النغمة الأولى المصاحبة للفظة الأولى : الانطباع الأول يؤدي إلى إنكار والثاني إلى معرفة بمن يكون (زيد). فكأنّ بينهما (زيد - زيد) تقابلا تامّا من جهة التّعيين. على أنه ينبغي أن نفهم الإشارة المصاحبة للتنغيم الثاني لا على أنها مؤثّر مستقلّ بل على أنها مؤثّر مندمج مع النغمة، فلنقكار يعدّ الانطباع الحاصل منهما معًا بعدًا آخر للانطباع السمعي فيقول : "هناك بعد آخر .. يدمج الأحاسيس الحركية kinesthetic sensations المصاحبة للحدث النّطقي في سياق الانطباع السمعي" (Langacker, 87, 78).

خاتمة :

لقد ساعدتنا بعض مكتسبات العرفانيين على الوصول إلى نتائج مختلفة وأحيانا مقابلة لما استقرّ في التفكير النحويّ حول الظّاهرة التي وسمناها بالتكرير.

فبالاعتماد على تمييز "لنقكار" بين الأساس والجانب بيّنّا كيف أنّ المركّب التكريري بمختلف ضروبه يمكن أن يدخل عنصراه في علاقة تبئير جانبي بحيث يكون أحدهما المعلم والثاني المسار فضلا عن دخول المركّب جميعا في علاقة مماثلة مع بقيّة عناصر الجملة. على أنّ تفصيل هذا التعالق قد يختلف من بنية تكرير إلى أخرى بل قد تفيد البنية الواحدة تمظهرات متنوّعة من بناء الوضعيّات الذهنيّة والتمثيلات.

ومن جهة ثانية اعتمدنا مفهومي الطراز والمحلّ لنصنّف مختلف بنى التكرير مرتكزين في ذلك على قول "تايلور" بإمكان التمييز بين طرازيّة شكليّة وأخرى دلاليّة فحاولنا أن نميّز في كلّ بنية تكريربين نمط هو الطراز وتشكّلات أخرى محيطة مبرزين أنّ لكلّ بنية طرازيّة أو محيطة ما يمكن أن ترتبط به من تمثيلات.

وأخيرا نظرنا من خلال بعض البنى المخصوصة كيف أنّ للبنية النبريّة دورا مفيدا في تكسير الرّتابة التي تفرضها "البنية الرمزيّة" المكررة. وهذه الفكرة تندرج في سياق اتجاه طريف لا يفصل كما هو مألوف بين الدّوالّ ومدلولاتها بل يجعل الأصوات بما هي آثار سماعيّة مفيدة في مستوى التصوّر والإدراك.

لم تكن هذه غير نماذج من محاور اهتمام تخفي أخرى كالعلاقة بين التكرير والذّاكرة بما يبدو أثره في دراسات بعض العرفانيين كجاكندوف (Jackendoff : 2000, 61-63) ففيها يمكن أن تثار قضايا كدور الذّاكرة الطويلة المدى والقصيرته في بناء التمثيلات اللّغويّة المرتكزة على التكرير.

المصادر والمراجع

- سيبويه : الكتاب ؛ تح. عبد السلام محمد هارون ؛ بيروت ؛ دار الجيل ؛ 1991.
- ابن يعيش : شرح المفصّل ؛ دار صادر ؛ د.ت
- الإستراباذي : شرح الكافية ؛ تعليق يوسف حسن عمر ؛ منشورات قار يونس ؛ بنغازي 1996

- Fodor Jerry A : Concepts, Claredon Press, Oxford; 1998
- Halliday + Hasan : Cohesion in English, 13 imp. Longman ed. London-Newyork 1994.
- Jackendoff RAY: Foundations of language; Oxford university press; 2002.
- Lancker Ronald W. : Foundations of cognitive grammar; Sanford university press, California 1987.
- Lee David: Cognitive linguistics, an introduction, Oxford university press UK 2001.
- Nuyts Jan + Eric Pederson (ed): Language and conceptualization, Cambridge university press; New york 1997.
  Cognition : n 9/2-2001, pp 329-80 &. Pragmatics
- Putnam Hilary : Representation et réalité. trad. de l anglais : Claudine Egel -Tiercelin; Gallimard. Paris 1990.
- Taylor John R : Linguistic categorization, 2 ed. Oxford 1995.
- Tiberghien Guy (dir) : Dictionnaire des sciences cognitives; ed. Armand Colin; Paris 2002.

توفيق قريرة